



رحلات أنور

- ١٢ -

مع الفيل في «سيام»

سَأَلَ أَنْوَرُ: «أَيْنَ نَحْنُ؟»

فَأَجَابَهُ الْفِيلُ: نحنُ في سِيَامَ، وَلَكِنْ لَا يَعْشُ
في هذا الجزء من البلادِ كثيرٌ من نَوْحِي. فَمُعْظَمُنَا يَعْشُ
في الشَّمالِ، حَيْثُ تُوجَدُ غَابَةُ كَثِيفَةٌ تَجُولُ فِيهَا
الْأَفْيَالُ الْبَرِّيَّةُ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَعْمَلُ مَا يَحْمِلُو لَهَا. وَأَمَّا
الْأَلِيفَةُ، فَتَشْتَعِلُ بِحَرِّ كُتْلِ الْأَشْجَابِ وَرَفْعِهَا بَعْدَ قِطْعِ
الْأَشْجَارِ. وَأَمَّا هُنَا فِي الْجَنُوبِ، حَيْثُ الْأَرْضُ
مُسَطَّحَةٌ، وَحَيْثُ يُزْرَعُ الْأُرْزُ بِكَثْرَةٍ، فَلَا يُوجَدُ إِلَّا
الْقَلِيلُ مَثًا.

وَكَانَ الْفِيلُ وَانْفًا عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ وَاسِعٍ، وَأَنْوَرُ عَلَى
ظَهْرِهِ. وَكَانَتْ تَبْدُو عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ بَعْضُ الْأَكْوَاخِ
الْمَصْنُوعَةِ مِنْ خَشَبِ «التَّاكَة» أَوْ مِنَ الْقَصَبِ الْهِنْدِيِّ.
وَسُقُوفُهَا مِنْ سَعَفِ النَّخِيلِ. كَذَلِكَ كَانَ فِي النَّهْرِ نَفْسِهِ
كثيرٌ مِنَ الْمَنَازِلِ الطَّائِفَةِ مُحْمَلَةٌ فَوْقَ حُرْمٍ مِنَ الْأَشْجَابِ.
وَهَذِهِ الْجُزْمُ مَشْدُودَةٌ إِلَى أَعْمِدَةٍ خَشَبِيَّةٍ عَلَى الشَّاطِئِ،
وَكَانَتْ تَعْمَلُو وَتَهْبِطُ مَعَ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ اللَّذَيْنِ يَصِلَانِ مِنَ
الْبَحْرِ. وَكَانَ أَمَامَ كُلِّ مَنْزِلٍ طَوَارٍ (رَصِيفٌ) صَغِيرٌ

يَجْلِسُ عَلَيْهِ النَّاسُ، يَطْبُخُونَ، أَوْ يَأْكُلُونَ، أَوْ
يَتَحَادَّثُونَ. وَعَلَى تِلْكَ (الْأَرْضِيفَةِ) يَقْضِي أَهْلُ سِيَامَ
مُعْظَمَ يَوْمِهِمْ. وَيَعْرِضُ التَّجَارُ مِنْهُمْ بَضَائِعَهُمْ لِلْبَيْعِ.
وَالْتَفَتَ الْفِيلُ إِلَى أَنْوَرٍ قَائِلًا: «سَوْفَ أَعُودُ الْآنَ
إِلَى الْغَابَةِ! وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ اسْتَحِمَّ قَبْلَ أَنْ أَعُودَ.»
فَأَجَابَهُ أَنْوَرُ: «لَا تَأْنِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ، فَأَنَا أَحْسِنُ
السَّباحَةَ.» وَنَزَلَ الْفِيلُ فِي النَّهْرِ، وَمَا أَنْ تَوَارَى ظَهْرُهُ
تَحْتَ الْمَاءِ، حَتَّى تَزْحَلَّ أَنْوَرُ مِنْ فَوْقِهِ، وَأَخَذَ يَلْعَبُ
وَيَقْفِرُ فِي الْمَاءِ. وَكَانَ الْمَاءُ دَفِينًا، لِأَنَّ جَوْ بِلَادِ سِيَامَ حَارٌّ،
وَالشَّمْسُ تَسْطَعُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ. وَلَمَحَ أَنْوَرُ بَعْضَ
الْأَوْلَادِ يَلْعَبُونَ عَلَى مَسَافَةٍ مِنْهُ. وَسَمِعَ أَحَدَهُمْ يَنَادِيهِ
قَائِلًا: «مَاذَا تَعْمَلُ هُنَا، أَيُّهَا الْفَتَى الْغَرِيبُ؟ تَعَالِ
لِتَلْعَبَ مَعَنَا.» وَكَانَ الْأَوْلَادُ فِي قَارِبٍ صَغِيرٍ، امْتِلَأَ بِهِمْ.
فَأَمْسَكَ أَنْوَرُ بِجَانِبِ الْقَارِبِ، وَحَاوَلَ الصُّعُودَ إِلَيْهِ،
فَانْقَلَبَ الْقَارِبُ بِعَيْنٍ فِيهِ. وَجَزَعَ أَنْوَرُ جَزَعًا شَدِيدًا،
لِأَنَّهُ نَشِيَ أَنْ يَفْرَقَ أَحَدَ الْأَوْلَادِ، وَلِسَكَّتِهِمْ كَانُوا
جَمِيعًا مَهْرَةً فِي السَّباحَةِ. وَتَقَدَّمَ أَحَدُ كِبَارِهِمْ، وَأَمْسَكَ
بِالْقَارِبِ، وَأَعَادَهُ كَمَا كَانَ، وَسَبَّحَ الْآخَرُونَ نَحْوَهُ،

وَصَعِدُوا إِلَيْهِ ثَانِيَةً. وَلَمَّا حَاوَلَ آخِرُ وَلَدِهِمُ الصُّعُودَ،
انْقَلَبَ بِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى. وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مَبْعَثَ سُرُورٍ
وَتَسْلِيَةٍ لَهُمْ.

وَقَالَ أَنْوَرُ: «إِنْ كَلَّا مِنْكُمْ يُحْسِنُ السَّبَاحَةَ، فَمَا
سِرُّ ذَلِكَ؟» فَأَجَابَهُ الْأَوْلَادُ: «إِنْ كَثِيرِينَ مِنَّا يَمِيشُونَ
بِالْقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ أَوْ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْمَنَازِلِ الطَّافِيَةِ. وَفِي

أَيَّامٍ طَفُولَتِنَا نَضَعُ لَنَا أَثْمَانَنَا
تَحْتَ أَذْرُعِنَا عَوَّاتَاتٍ مِنَ
الصَّبِيحِ ثُمَّ يَقْدِفُنَا بِنَافِ الْمَاءِ،
فَنَرِفُسُ بِأَرْجُلِنَا، وَنَعْمَلُو
وَنَهْبِطُ، كَأَنَّا قِطْعٌ مِنْ
(الْفِلِّينِ). وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ
يَتَعَلَّمُ أَكْثَرُنَا السَّبَاحَةَ قَبْلَ
أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَشْيَ، فَقَالَ
أَنْوَرُ: «حَسَنٌ، وَالْآنَ
هَيَّا بِنَا نَلْعَبُ لَعِبَةً أُخْرَى!»



المنازل الطافية على النهر

أَقْدَامِهِمْ، يَتَزَلُّونَ إِلَى النَّهْرِ، فَيَزُولُ عَنْهُمْ الطِّينُ،
وَتَعْمَدُ أَجْسَامُهُمْ كَمَا كَانَتْ قَبْلَ بَدْءِ اللَّعِبِ. وَلَحَظَ
أَنْوَرُ أَنَّ مَلَابِسَهُمْ لَمْ تَكُنْ سِوَى قِطْعٍ مِنَ النَّسِيجِ
الرَّقِيقِ، يُلْقُونَهَا حَوْلَ أَجْسَامِهِمْ عَلَى شَكْلِ تَجْعَلُهَا
تَبْدُو كَأَنَّهَا لِبَاسٌ وَاسِعٌ. وَكَانُوا يَسْتَحِمُّونَ بِهَا، فَإِذَا
خَرَجُوا مِنَ النَّهْرِ جَفَّتْ فِي الشَّمْسِ بِسُرْعَةٍ.

وَبَعْدَ أَنْ لَبَّى أَنْوَرُ

مَعَ الْأَوْلَادِ شَعَرَ بِالْجُوعِ،
فَسَأَلَ أَحَدَهُمْ أَنْ يُعْطِيَهُ
شَيْئًا يَأْكُلُهُ. فَأَجَابَهُ الْوَلَدُ:
«فَلَنَسْأَلَ أُمِّي، لِأَنَّ وَقْتُ
الْأَكْلِ لَمْ يَحْنُ بَعْدُ. فَنَحْنُ
الْآنَ فِي مُتَوَسِّفِ النَّهَارِ».
فَقَالَ أَنْوَرُ: «نَحْنُ نَأْكُلُ
فِي هَذَا الْمِعَادِ فِي بِلَادِنَا».
فَأَجَابَهُ الْوَلَدُ السَّيَاحِيُّ:

«أَمَّا نَحْنُ فَلَا نَأْكُلُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ فِي الْيَوْمِ، مَرَّةً فِي
الصَّبَاحِ قَبْلَ أَنْ تَشْتَدَّ حَرَارَةُ الشَّمْسِ، وَالْأُخْرَى عِنْدَ
الْمَسَاءِ، حِينَ تَكُونُ الْحَرَارَةُ قَدْ خَفَتْ كَثِيرًا. وَقَدْ
نَشْرَبُ الشَّايَ (الشاي) بَيْنَ الْأَكْلَتَيْنِ، أَوْ نَمُصُّ
قَصَبًا، أَوْ نَأْكُلُ قِطْعَةً مِنَ الْكَعْكَ. وَلَكِنَّا لَا نَأْكُلُ
أَكْلَةً كَامِلَةً».

فَشَدُّوا الْقَارِبَ إِلَى جَانِبِ النَّهْرِ، وَقَفَزُوا إِلَى الشَّاطِئِ
الْمَعْمُورِ بِالطِّينِ. ثُمَّ أَخَذُوا يَجْعَلُونَ مِنَ الطِّينِ كُورًا
يَقْدِفُ بَعْضُهُمْ بِهَا بَعْضًا، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَنْوَرُ بِالنَّجْلِجِ
فِي سَبِيلِنَا. فَالطِّينُ يَقُومُ مَقَامَ النَّجْلِجِ فِي سِيَائِهِمْ، لِأَنَّهُ
لَيْسَ فِيهَا نَجْلَجٌ مُطْلَقًا. وَعِنْدَ مَا تُصْبِحُ أَجْسَامُهُمْ مُغَطَّاةً
بِطَبَقَةٍ مِنَ الطِّينِ مِنْ قِيعِمْ رُؤُوسِهِمْ إِلَى أَحْصَاصِ

تلك القوارب صغير جداً ، فلا يتسع الواحد منها إلا لطفل صغير يركب فيه ، ويدفعه في الماء بجذاف صغير ، والبعض الآخر أكبر من ذلك ويسير بجاذيف



أسرة سياحية تأكل أرزاً على الرصيف

كبيرة . وكان بعضهم يحملون بالأرز أو يجوز الهند أو القصب ، والبعض الآخر بالناس .

وسأل أنور : « ما سبب كثرة القوارب على هذا النهر ؟ » فأجابوه : « لأنه ليس عندنا إلا القليل من الطرق المعبدة على الأرض . وعندنا بدلاً منها طرق مائية كثيرة . فإنك تجد الأنهار والقنوات في كل مكان . فلو لم تكن لنا قوارب ، لكاننا نضطر للسباحة معظم الوقت . وليس للكثير منا منازل على الأرض مطلقاً . فهم يولدون في القوارب ، وينمون ويقضون حياتهم فيها إلا ساعات العمل . على أننا بدأنا في العهد الأخير ننتشي بعض الطرق الحديثة . »

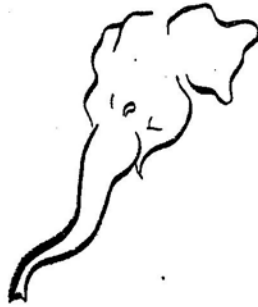
وعند ذلك وجد أنور أن الوقت قد حان للعودة إلى السفينة . وعند ما وصل إليها لم يجد باقياً على ظهرها من الحيوانات سوى اثنين : الشمبانزي واليالك . وكان

وكانا قد وصلا إلى منزل أحدهم لاء الأولاد ، وهو مقام على شاطئ النهر فوق قوائم من الخشب كيلا يغمره الماء إذا فاض النهر . في سيام يتعدى المطر مدة ستة أشهر ، ثم تمطر السماء بعد ذلك كل يوم مدة ستة الأشهر الأخرى . ويرتفع منسوب الماء في النهر حتى يغمر الأراضي الواطئة على جانبيه . وكانت الدار تتكون من ثلاث غرف ، كما هي الحال في كل بيوت أهل سيام . فكانت غرفة منها للنوم ، حيث يتأهل الأهلون على حصير مفروشة على الأرض ، وغرفة للجلوس ، حيث يجلسون على الأرض أيضاً ، فليس لديهم موائد ولا كراسي ، ثم المطبخ ، حيث يطهى الطعام على موقد الفحم أو زيت البترول .

نادى الولد أمه قائلاً : « هنا ولد غريب يريد شيئاً يأكله . » وكانت الأم - ككل سيدات سيام - شفيقة طيبة جداً . فنهضت في الحال ، وقدمت لأنور أرزاً . والأرز غذاؤهم الرئيسي ، يأكلونه كل يوم . وقدمت له غير الأرز سمكا وصفادع على أطباق صغيرة ثم موزاً وجوز الهند ، ثم سأله بلطف : « هل أنت مسرور ؟ » فأجابها أنور : « نعم ، كل السرور . »

وجلس مع أفراد الأسرة على (الرصيف) يستريح . وكان في أثناء ذلك يشاهد القوارب من مختلف الأشكال والأحجام ، تروح وتغدو على النهر . وبعض

إليك مُسْتَفْرِقاً فِي النُّومِ . فَالْتَفَتَ أَنْوَرُ إِلَى الشُّمْبَانِزِيِّ ،
قَائِلًا : « أَتَهْضُ ، يَا رَجُلَ النَّابَةِ ، الْآنَ دَوْرُكَ ، وَسَأَعُودُ
بِكَ إِلَى وَطَنِكَ ! » فَصَاحَ الشُّمْبَانِزِيُّ : « هَذَا بَدِيعُ ! »
وَلَكِنَّكَ لَا تَعْرِفُ الطَّرِيقَ ، فَدَعَنِي أَقُودُ السَّفِينَةَ
بِنَفْسِي . اذْهَبْ إِلَى تَحْدَعِكَ ، وَنَمْ ، وَلَا تَشْغَلْنِي ، حَتَّى
أَصِلَ إِلَى بِلَادِي . » فَحَيَّاهُ أَنْوَرُ ، وَذَهَبَ إِلَى تَحْدَعِهِ ،
وَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا عَلَى صَوْتِ الشُّمْبَانِزِيِّ ، يَفْرَعُ الْبَابَ ،
قَائِلًا : « لَقَدْ وَصَلْنَا ! »



حَدَائِقُ بَابِلِ الْمَلَقَةِ

بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ قَامَتْ ، مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ
إِمَارَةٌ عَظِيمَةٌ عُرِفَتْ بِإِمَارَةِ بَابِلَ . وَكَانَتْ مَدِينَةُ بَابِلَ
الْعَاصِمَةُ واقعةً عَلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ مُقَابِلَ مَوْجِعِ بَغْدَادَ
الْحَالِي عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ .
وَأَتَى الصَّبَاحُ يَوْمًا ، وَإِذَا بِالْأَخْبَارِ تَتَوَاتَرُ مِنْ
الْخَاصَةِ إِلَى الْعَامَّةِ بِأَنَّ مُخْتَصَرَ أَمِيرِ بَابِلَ قَدْ رَحَلَ فِي
سَفَرٍ طَوِيلٍ إِلَى بِلَادِ مِيدْيَا الْجَبَلِيَّةِ الْمَجَارَّةِ لِبَابِلَ ، حَيْثُ
اخْتَارَ أَمِيرَةً جَمِيلَةً فِيهَا لَتَكُونَ زَوْجَةً وَشَرِيكةَ حَيَاتِهِ
وإِمَارَتِهِ .
وَلَقَدْ كَانَتْ الرِّحْلَةُ طَوِيلَةً شَاقَّةً ، فَتَوَالَتْ الْأَيَّامُ ،
وَأَهْلُ بَابِلَ يَنْتَظِرُونَ يَلْهَفٌ عَوْدَةَ أَمِيرِهِمْ وَطَالَ الزَّمَنُ
وَاشْتَدَّ شَوْقُ الشَّعْبِ إِلَى رُؤْيَةِ الْأَمِيرِ الْمَحْبُوبِ وَأَمِيرَتِهِ .
وَقَامَ الْجُنُودُ يَتَنَاقَشُونَ الْاِسْتِطْلَاعَ مِنْ أَعْلَى قِمَمِ الْأَبْرَاجِ
فَيَتَطَلَّمُونَ إِلَى الشَّمَالِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، لَعَلَّهُمْ يَلْمَحُونَ
رَكْبَ الْأَمِيرِ قَادِمًا ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا فِي الْمَسَاءِ يَمُودُونَ
مُطْرِقِينَ ، فَيَرَاهُمُ النَّاسُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، فَيَعْلَمُونَ
أَنَّ الْأَمِيرَ لَمْ يَمُدَّ بَعْدُ .
وَأَخِيرًا أَبْصَرَ الْحُرَّاسُ ، ذَاتَ يَوْمٍ ، رَجُلًا قَادِمًا مِنْ